

# التفسير والحديث الموضوعي

للسنة الثالثة علوم إسلامية  
تخصص: الفقه والأصول  
السداسي الخامس  
إعداد الدكتور: بشير عثمان

قسم العلوم الإسلامية  
جامعة المسيلة  
السنة الجامعية: 2018/2019م  
الموافق ل: 1439/1440هـ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد، فإن العلوم تتميز بموضوعاتها ومناهجها، وهي تتطور بتطور موضوعاتها ومناهجها كذلك، وبالنسبة للتفسير فإن موضوعه هو النص القرآني الذي لا يتبدل ولا يتغير، ويبقى المنهج هو القابل للتغيير والتطوير.

اعتمد المفسرون قديماً على منهج التفسير التحليلي، وما زال هذا المنهج مسيطراً ومهيماً على التفسير، إلا أنه يبقى قاصراً عن تقديم الجديد في التفسير، خاصة مع هيمنة العقلية التجزئية واستبعاد العقلية التركيبية الكلية، وأمر آخر هو ابتعاد التفسير التحليلي عن الواقع، وهذه من أسباب عدم قدرة المنهج التحليلي على وضع التفسير في مكان التأثير والحضور والفاعلية، بخلاف الفقه الذي مازال حاضراً وفاقلاً في حياة المسلمين من خلال الفتاوى الفقهية، لأن الفقه يعتمد على المنهج الموضوعي لا التحليلي، كما أن الفقه ينطلق من الواقع الاجتماعي للمسلمين ثم يعود إلى النصوص التشريعية من القرآن والسنة ليعطي الإجابة والأحكام على النوازل المعاصرة، بينما التفسير التحليلي لا ينطلق من الواقع وإنما ينطلق من النص ليعود إلى النص، فهو يرتبط بالجملة القرآنية، يشرح الواحدة تلو الأخرى. وبمثل هذه الملاحظات يمكن النظر إلى الحديث التحليلي الذي كثرت فيه المؤلفات والكتب، رغم أن الأصول التي شرحتها واهتمت بها تلك المؤلفات، مثل صحيح البخاري ومسلم، هذه الأصول لم تؤول وتكتب إلا بطريقة منهجية موضوعية، فقد كانت سبابة إلى اعتماد المنهج الموضوعي في تأليفها وتشكيلها، إلا أن سيطرة المنهج التحليلي التجزئي عاد بهذه الأصول إلى مستوى الشرح اللغوي للكلمات والمفردات، والتحليلي للجمل بدون ملاحظة البعد الكلي الموضوعي فيها، إلا لما فيما يتعلق بأحاديث الأحكام لارتباطها بالفقه والفتوى فقط.

لهذه الأسباب وغيرها ظهر المنهج الموضوعي في التفسير وفي الحديث، والذي ينطلق من الواقع ويعود إلى النص القرآني والحديثي بحثاً عن إجابات لمشكلات الواقع، هذا المنهج سيعطي للتفسير وللشرح الحديثي دوراً في الحياة الإسلامية، وسيعطيها الاستمرار والتجدد بإذن الله تعالى. إن أهمية التفسير الموضوعي والشرح الحديثي تكمن في محاولة تقديم تصورات وحلول لأزمات ومشاكل المجتمع المعاصر، ودعاة المستقبل في حاجة ماسة لهذا المنهج، بل إن معظم الباحثين في حاجة لهذا المنهج، خاصة عند محاولتهم اكتشاف التصور الإسلامي حول المسائل المعاصرة في جميع المجالات.

هذه المذكرة المتواضعة تحاول الكشف عن منهج التفسير الموضوعي من خلال البحث عن مفهوم هذا المنهج؟ وكيف نشأ وتطور؟ وهنا نبحت مسألة جذور التفسير الموضوعي، هل له أصل في عمل الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم؟ أم لا؟ وهذه مسألة من الأهمية بمكان حتى نثبت بأن هذا المنهج ليس بدعاً في حياة المسلمين.

ثم نعود لنعرج على تساؤلات أخرى، منها: ما هي أنواع التفسير الموضوعي؟ ما معنى التفسير الموضوعي التجميعي؟ وما المقصود بالتفسير الموضوعي الكشفي؟ وما هو التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني؟ وكيف كانت تطبيقات الباحثين لهذا المنهج؟ وحول ماذا كانت تدور هذه التطبيقات؟ كما نتساءل كذلك عن مفهوم الحديث الموضوعي وأهميته؟ وكيف نشأ وتطور؟ وما علاقته ببقية مناهج الشرح الحديثي؟ وما هي أنواعه؟ وما هي التطبيقات التي تمثل نماذج للاستخدام هذا المنهج في فهم السنة النبوية المطهرة؟

عموماً هذه هي التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه المذكرة، وهنا نشير إلى بعض المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، وهي كالتالي:

- 1-البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي.
- 2- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد.
- 3- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي.
- 4- التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، أحمد رحماني.
- 5- السنن التاريخية في القرآن، محمد باقر الصدر.
- 6- مناهج التفسير الموضوعي، أحمد رحماني.
- 7- التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، زياد خليل الدغامين.
- 8- مقالة رمضان إسحاق الزيان بعنوان:"الحديث الموضوعي دراسة نظرية" في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة-فلسطين، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 2002م.
- 9- خالد محمد محمود الشerman، الحديث الموضوعي -دراسة تأصيلية تطبيقية-.
- 10- هيفاء عبد العزيز الأشرفي، الشرح الموضوعي للحديث الشريف -دراسة نظرية تطبيقية- وقد تم تقسيم هذه المذكرة إلى جزئين، خصصنا الجزء الأول منها للتفسير الموضوعي، والثاني جعلناه للحديث الموضوعي، عل النحو التالي:

# الجزء الأول

## التفسير الموضوعي

# المحاضرة الأولى: تعريف التفسير الموضوعي وأهميته

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي

المبحث الثاني: أهمية التفسير الموضوعي

## المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي

قبل التطرق إلى تعريف التفسير الموضوعي يحسن بنا تعريف مصطلح التفسير وعلاقته ببعض المصطلحات المقاربة له، ثم تعريف الموضوع، ثم التركيب بين هذه المصطلحات بحثاً عن مصطلح التفسير الموضوعي.

### تعريف التفسير:

يدور معنى التفسير حول البيان والكشف والإيضاح، جاء في لسان العرب لابن منظور: «الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسر بالضم، فسراً، وفسره: أبانه، والتفسير مثله»<sup>1</sup>، ثم أضاف: «الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر»<sup>2</sup>، وجاء في تاج العروس: «الفسر: الإبانة وكشف المغطى [...] أو كشف المعنى المعقول»<sup>3</sup>.

وعليه فتفسير نص ما هو بيان معناه وتوضيحه وكشف المراد منه، وإضافة المصدر "تفسير" إلى "القرآن" يقصد منه فهم معاني القرآن وبيان ما جاء في آياته وإيضاحها وكشف المراد منها، هذا هو المعنى اللغوي العام، أما اصطلاحاً فللتفسير تعريفات عديدة نذكر منها ما يلي:

عرفه الزركشي صاحب كتاب "البرهان في علوم القرآن" فقال: «التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج حكمه وأحكامه»<sup>4</sup>، وعرفه محمد عبد العظيم الزرقاني فقال: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية...»<sup>5</sup>، أما محمد الطاهر بن عاشور فقال في تعريفه: «التفسير اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها باختصار أو توسع»<sup>6</sup>.

وعند استعراض مثل هذه التعريفات نجد الحديث عن بيان المعاني، واستخراج الأحكام والحكم، لكن بعض العلماء لا يعطي معنى اصطلاحياً للتفسير، ويذهب مباشرة للحديث عن مصطلح التأويل مقارناً بينه وبين التفسير، وكل هذا يعود إلى اختلاف العلماء في تحديد معنى التفسير، وهل ينطبق على التأويل؟ نلاحظ ذلك عند السيوطي.

فالسيوطي يقدم تعريفاً لغوياً للتفسير، ثم يقول: «واختلف في التفسير أو التأويل، فقال أبو عبيدة وطائفة: هما بمعنى [...] وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها»<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د، ت، م/5 ج/38 ص/3412.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، م/5 ج/38 ص/3412-3413.

<sup>3</sup> الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس، ت: عبد القادر أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، دولة الكويت، ط: 1375هـ- 1965 م، ج/13 ص/323.

<sup>4</sup> الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د، ت)، ج/1 ص/13.

<sup>5</sup> محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ت: فؤاد أحمد زمزلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1415 هـ- 1995 م، ج/2 ص/6.

<sup>6</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: 1984 م، ج/1 ص/11.

<sup>7</sup> السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، ت: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط: 1426 هـ، ج/6 ص/2261-2262.

وعليه فهناك محاولات للتفريق بين مصطلحات التفسير والتأويل، والشرح كذلك، فأحمد رحماني يقول: «الشرح يستخدم عادة في إزالة الإبهام عن كلام بشري، ومصطلح التفسير يعبر عن تتبع أسباب الشيء وعلله عن طريق استخدام كل الوسائل المعرفية الممكنة، ومصطلح التأويل يوظف في مجال يحتاج فيه النص إلى الخروج عن المعنى المباشر للغة إلى المعاني البعيدة التي يظن أنها هي معاني المعاني»<sup>1</sup>، لهذا اعتبر الراغب أن أكثر استعمال التفسير مع الألفاظ والمفردات والتأويل أكثر استعماله مع المعاني والجملة.

هذه الفروق الموجودة بين الشرح والتفسير والتأويل تعود أصلا إلى الأدوات المستعملة، فالشارح يعود إلى علم الصرف والمعاجم اللغوية وعلم التراكيب، بينما المفسر يتجاوز ذلك إلى اعتماد علوم مختلفة كأسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وفي العصر الحاضر يذهبون إلى الاعتماد على العلوم الإنسانية والكونية، من علم الاجتماع وعلم النفس، وعلم الأحياء والفيزياء وغيرها<sup>2</sup>.

إذا عدنا إلى التعريف الاصطلاحي عند الزركشي فسوف نلاحظ أنه يقدم لنا مستويات للتفسير انطلاقا من "الفهم ثم استخراج الأحكام ثم مستوى معرفة الحكمة"<sup>3</sup>، وهذه المستويات تخضع لقدرات المفسر وما يملكه من أدوات وملكات علمية وفهمية، كما ترتبط بأهداف المفسر ومقاصده من التفسير من استخراج للأحكام الفقهية، أو بيان لمقاصد وحكم النص<sup>4</sup>.

ويأتي تعريف الزرقاني ليؤكد تفاوت القدرات في الفهم والبيان والتفسير بقدر الطاقة البشرية، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور عندما أشار إلى بيان المعاني وما يستفاد منها باختصار أو توسع. يضيف الزركشي عند تحديده لمصطلح التفسير فيقول: «واستخراج حكمه وأحكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»<sup>5</sup>.

وهذه الإضافة توضح لنا الأدوات المساعدة على التفسير، وهكذا فمعظم التعريفات الاصطلاحية تذهب إلى الحديث عن:

- 1- مستويات الفهم (من شرح، وتفسير، وتأويل).
- 2- وسائل التفسير وأدواته (اللغة، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ...)+(علوم إنسانية، علوم كونية).
- 3- تفاوت قدرات الفهم لدى البشر.
- 4- الغرض من التفسير (استخراج الأحكام والحكم).
- 5- تطور الفهم بتطور المعرفة البشرية<sup>6</sup>.

بعدها سجلنا الخصائص العامة التي يدور حولها تعريف التفسير، ننتقل الآن إلى تحديد مصطلح الموضوع، والذي يعد العنصر الثاني من مصطلح "التفسير الموضوعي".

### تعريف الموضوع:

جاء في لسان العرب: «الوضع ضد الرفع، وضعه يضعه وضعا وموضوعا، وأنشد ثعلب بيتين فيها: موضوع جودك ومرفوعه، عني بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به، والمرفوع ما أظهره وتكلم به»<sup>1</sup>،

<sup>1</sup> أحمد رحماني، التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، منشورات جامعة باتنة، باتنة، الجزائر، ط: 1998 م، ص 17.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 18.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>5</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1/ ص 13 وكذلك ج2/ ص 148.

<sup>6</sup> أحمد رحماني، التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، ص 22.

وهذا الكلام يفيد أن معنى الوضع هو الحط والخفض، والترك والإضمار، وهو معنى يتضمن قدرا من السلبية، خاصة عندما نصف التفسير به، وهذا ما تخرج منه بعض الباحثين في هذا المجال.<sup>2</sup>

هذا هو المعنى الأول للوضع والموضوع، أما المعنى الثاني فقد جاء فيه: «والموضع: مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وضعا وموضوعا، وهو مثل المعقول، وموضعا، وإنه لحسن الوضعة أي الوضع، والوضع أيضا الموضوع ما تسمى بالمصدر وله نظائر...»<sup>3</sup>، وكذا قول ابن منظور: «وقال أبو زيد: إذا رعت الإبل الحمض حول الماء فلم تبرح قيل وضعت تضع وضيعة، ووضعتها أنا، فهي موضوعة»<sup>4</sup>، فالمعنى الثاني هو الإلقاء من اليد، والتزام مكان معين، مثل التزام الإبل لمكان محدد لا تتعداه عند الرعي، وعدم تغييرها له، لهذا قيل عنها هي موضوعة.

وجاء في تاج العروس للزبيدي قوله: «وموضوعا، وهو مثل المعقول، نقله الجوهري، وله نظائر تقدم بعضها، والمعنى: ألقاه من يده و حطه»<sup>5</sup>، ثم أضاف: «قال أبو زيد، وكذلك وضعتها أنا، أي ألزمتها المرعى، فهي موضوعة، قال الجوهري: يتعدى ولا يتعدى»<sup>6</sup>، هذه هي المعاني الأساسية التي يدور حولها معنى الوضع والموضوع، وكما قال فتح الله سعيد: «والموضوع في اللغة مأخوذ من الوضع، وهي مادة تدل على مطلق جعل الشيء في مكان سواء كان ذلك بمعنى: الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان»<sup>7</sup>.

يشرح صاحب تاج العروس ارتباط معنى الموضوع بالتزام مكان الحمض عند العرب، قال: «والوضيعة الحمض عن ابن الأعرابي، وقال ابن السكيت: يقال هم أصحاب وضيعة، أي أصحاب حمض مقيمون لا يخرجون منه...»<sup>8</sup>، فقد انتقل الوصف من الإبل الباقية في مكان محدد إلى أصحابها الذين لا يبدلون ولا يغيرون مكان إقامتهم.

وعليه فالمعاني اللغوية للموضوع معنيان أحدهما هو: الإلقاء والتثبيت، أو التزام مكان معين، والثاني هو: الحط والخفض خاصة في المكانة المعنوية، لهذا يذهب صلاح عبد الفتاح الخالدي إلى أن الوضع نوعان: «الأول: وضع مادي حسي، ومنه وضعه على الأرض، والثاني: وضع معنوي، ومنه الوضع وهو الدنيء المهان الذليل، الذي قعدت به همته أو نسبه، فكأنه ملقى على الأرض، موضوع عليها...»<sup>9</sup>.

إن ربط التفسير بالموضوع بحسب المعنى الثاني قد أثار الحرج عند بعض الباحثين، أما ربطه بالمعنى الأول فلا إشكال فيه، لهذا يقول مصطفى مسلم موافقا عبد الستار فتح الله سعيد فيما ذهب

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، م/6 ج/54 ص 4857-4858.

<sup>2</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط2: 1411 هـ- 1991 م، ص 21.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، م/6 ج/54 ص 4858.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، م/6 ج/54 ص 4861.

<sup>5</sup> الزبيدي، تاج العروس، ج/22 ص 335.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ج/22 ص 335.

<sup>7</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 20.

<sup>8</sup> الزبيدي، م، م، س، ج/22 ص 340.

<sup>9</sup> صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان، الأردن، ط3: 1433 هـ- 2012 م، ص 33.



إليه: «وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به»<sup>1</sup>.

المعنى الثاني الذي أثار حفيظة عبد الستار فتح الله سعيد وهو الوضع المعنوي، والذي لا يمكن ربطه بالتفسير لأن التفسير علم شريف وشرفه من موضعه ومجاله وهو القرآن الكريم كتاب الله تعالى جل جلاله، قال عبد الستار: «ولقد كنت أجد في نفسي حرجا بالغا من استعمال هذا اللفظ وصفا للتفسير، لأسباب منها: أ/لم أجد أحدا يستعمله لغة أو اصطلاحا بمعنى: القضية الواحدة، أو المسائل المشتركة في معنى واحد. ب/ أن مادة الوضع يغلب استعمالها في معنى الذم [...]، ولكن من جانب آخر كنت أرى الكلمة قد ذاعت وشاعت على ألسنة العلماء من غير نكير»<sup>2</sup>، لهذا عاد عبد الستار إلى القرآن يبحث فيه عن استعمالات (وضع) فوجد ألقاها وردت "أربعا وعشرين مرة" في معان متعددة، منها المدح والذم، وفي المدح جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/96]، وكذلك: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن/7]، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [13] وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ {14}﴾ [الغاشية/13-14]، قال: «فوصف الكعبة والميزان، وأكواب الجنة بأنها موضوعة ينفي الحرج في استعمال الكلمة، ويخرجها من غلبة الذم، إلى غلبة الخير عليها، بل والمدح لها وبها»<sup>3</sup>.

وبهذا يرتفع الحرج عن وصف التفسير بالموضوعي، يبقى مدى ارتباط التفسير الموضوعي بمعنى إيجاب الشيء وإثباته في المكان، هنا يعود عبد الستار فتح الله إلى قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء/47]، لأن التفسير الموضوعي ملحوظ فيه هذا المعنى، حيث أن المفسر يجمع الآيات حول قضية معينة، ويثبتها ويضعها في مكانها وموضعها الخاص بها المرتبط بالمعنى الكلي للقضية التي يقوم ببحثها<sup>4</sup>، لهذا توصل إلى تحديد مصطلح الموضوع بالشكل التالي قال: «وعند علماء التفسير: القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة»<sup>5</sup>.

بالنسبة لعبد الستار فتح الله سعيد الموضوع هو قضية نستشفها من القرآن، لهذا جاء تعريفه له بهذا الشكل، ولكن هناك من يرى أن القضية قد نستشفها من خارج النص القرآني لا من داخله، لذا نجد مصطفى مسلم يخالف في تعريفه للموضوع تعريف فتح الله سعيد، فيقول: «وفي الاصطلاح قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم»<sup>6</sup>، وعليه فالموضوع يستقى ويستشف من خارج النص القرآني حسب التعريف الثاني، لا من داخله حسب التعريف الأول، وهذه قضية مهمة سنأتي إلى بيانها، بقي لنا الآن أن ننظر في التعريف الاصطلاحي لهذا المركب الوصفي "التفسير الموضوعي".

### مصطلح التفسير الموضوعي:

عرف عبد الستار فتح الله سعيد التفسير الموضوعي فقال: «هو علم يبحث في قضايا القرآن، المتحددة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط

<sup>1</sup> مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3: 1431هـ - 2000م، ص15، ينظر: عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص23.

<sup>2</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص21-22.

<sup>3</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص22.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص22.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص20.

<sup>6</sup> مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص16.

مخصوصة، لبيان معناها واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع<sup>1</sup>، هذا التعريف نموذج ينبغي الوقوف معه ومساءلته حول بعض الإشكاليات، منها مثلاً: هل التفسير الموضوعي علم أم منهج؟ لقد انتقد زياد خليل الدغامين هذا الاتجاه، ورد على فتح الله سعيد بأن التفسير الموضوعي إنما هو منهج من مناهج التفسير ولا يمكن لنا التسوية بين العلم والمنهج، لأن المنهج وسيلة والعلم غاية<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى ذلك، من أين نستقي القضايا التي سنقوم بدراستها في ضوء القرآن الكريم؟ هنا نقف أمام مجموعة من التعاريف الاصطلاحية كلها تشير إلى أن الموضوعات هي عبارة عن قضايا القرآن، أي أنها تستخرج من القرآن، ولهذا نجد أن تطبيقات هذا الاتجاه تذهب إلى موضوعات مستقاة من القرآن، ففتح الله سعيد مثلاً درس القضايا التالية: الوحدانية والتوحيد في القرآن الكريم، المعية في ضوء القرآن، التبعية في ضوء القرآن، العلم والعلماء، الآخرة ومشاهدها...

في الجهة المقابلة نجد محمد باقر الصدر يذهب إلى أن الموضوعات تستقى من الواقع ومن الحياة البشرية، يقول: «فاصطلاح الموضوعي... بمعنى أنه يبدأ من الموضوع والواقع الخارجي، ويعود إلى القرآن الكريم، والتوحيدي، باعتبار أنه يوحد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم...»<sup>3</sup>، ويضيف بعد ذلك أن التفسير يكون موضوعياً «باعتبار أنه يختار مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد، وهو توحيدي باعتبار أنه يوحد بين مدلولات هذه الآيات ضمن مركب نظري واحد، ليخلص بالتالي إلى تحديد إطار نظرية واضحة»<sup>4</sup>، وعليه فمحمد باقر الصدر يعترف من جهة بأن الموضوع قد نستقيه من النص، لكنه دائماً يفضل الانطلاق من الواقع، ومصطلح التوحيدي عنده إنما لتوحيد الواقع مع النص، ولتوحيد النصوص مع بعضها البعض. لقد ذهب محمد باقر الصدر إلى التركيز على الانطلاق من الواقع، لأنه عندما عقد مقارنة بين التفسير والفقه، وجد بأن الفقه تطور وبقي فاعلاً في حياة المسلمين لارتباطه بالواقع، واعتماده المنهج الموضوعي التوحيدي، بينما التفسير لم يرتبط بالواقع، واعتمد المنهج التجزيئي التحليلي.

قال محمد باقر الصدر: «ومن خلال المقارنة بين الدراسات القرآنية والدراسات الفقهية، نلاحظ اختلاف مواقع الاتجاهين على الصعيدين، فبينما انتشر الاتجاه الموضوعي وساد على الصعيد الفقهي منذ خطوات نموه الأولى»<sup>5</sup>، ثم يضيف: «وهذا كان ديدن الفقهاء حيث نجد أن وقائع الحياة تكاد تنعكس عليهم في واقع حياتهم المعاش، فصوروه من خلال ما طرحوه من قضايا بأشكال متعددة، عملوا على استنباط أحكامها وحلولها من مصادرها الأصلية في الشريعة المقدسة، وهذا يبرز بوضوح الاتجاه الموضوعي لدى هؤلاء الفقهاء على شكل جباية، مضاربة، مزارعة... لأنه يبدأ بالواقع القائم وينتهي إلى الشريعة في مقام التعريف على حكم هذا الواقع»<sup>6</sup>.

وعليه فالفقيه ينطلق من أسئلة ونوازل الواقع، ويذهب إلى النص ليعود ويستخرج الحكم لعلاج تلك النوازل والوقائع، فكيف يعمل المعني بمنهج التفسير الموضوعي حسب محمد باقر الصدر، يقول: «إن الدراسة الموضوعية هي تلك التي تطرح موضوعاً من الموضوعات في أي حقل من حقول

<sup>1</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 20.

<sup>2</sup> زياد خليل الدغامين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، دار عمار، عمان، الأردن، ط: 1428 هـ - 2007 م، ص 21.

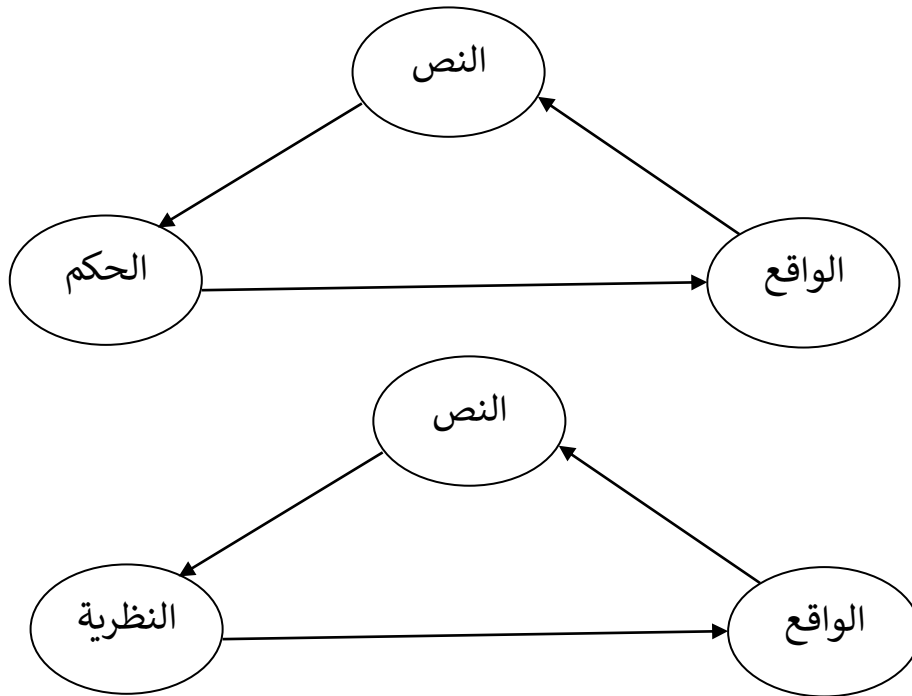
<sup>3</sup> محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، أعاد صياغته: محمد جعفر شمس الدين، دار المعارف للمطبوعات، دمشق، ط: 1409 هـ - 1989 م، ص 36-37.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 37.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 32-33.

<sup>6</sup> محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، ص 37-38.

الإنسان والكون والحياة، وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية بهدف الخروج من خلاله بنظرية قرآنية محددة إزاءه»<sup>1</sup>، إذن هذا هو التفسير الموضوعي عند باقر الصدر، يبدأ من الواقع ويذهب إلى النص ليستخرج نظرية أو تصورا حول الموضوع ليعود إلى الواقع بغية معالجته أو إصلاحه حسب تلك النظرية أو ذلك التصور، وهذا الشكل يوضح العملية بالطريقة التالية:



الانطلاق من الواقع والعودة إلى النص، هي المسألة التي أثارت بعض الانتقادات، منها ما ذكره الدغامين حيث قال: «ليست الانطلاقة من الواقع هي الوجهة الوحيد في منهج التفسير الموضوعي، ولكن هناك انطلاقة أخرى مقابلة، تنطلق من القرآن وتتجه نحو الواقع»<sup>2</sup>، وهذه تتحدث عن تنزيل القرآن على الواقع البشري، وهي لم تلغ الانطلاق من الواقع لكنها تؤكد على العودة إلى الواقع، وذلك مما لا خلاف فيه، ومحمد الباقر لم ينف هذه المرحلة بل يؤكد عليها، والهدف هو تنزيل القرآن وتطبيقه في الحياة.

قوة الطرح الذي قدمه محمد باقر الصدر، خاصة عند مقارنته لعمل المفسر بعمل الفقيه، لم تترك مجالاً كبيراً للانتقاد، لهذا يتقبل الدغامين الانطلاق من الواقع، ثم يعود ليذكر بالانطلاق من النص، وهذا لهيمنة المنهج التجزيئي على فكر المفسرين، ولسيطرة النظرة العقديّة، وعدم تقبل التغيير في الفكر والمنهج، لقد مثل الدغامين لما ذهب إليه بمسألة بناء التصور العقدي للإنسان المسلم والتي يجب أن تنطلق من النص، أما تحكيم الواقع البشري في النص فهذا ما لا يتقبله خليل الدغامين، وهذا ما لم يقله محمد باقر الصدر، ولا يمكننا تقويل الرجل ما لم يقله.

إن الإشكال مع تعريف محمد باقر الصدر يتأتى من عدم الإشارة إلى التفسير الموضوعي المتعلق بالسورة الواحدة، في هذه الحالة - وكما هو معلوم - نحن ننطلق من النص لنبحث فيه عن موضوع السورة، والأمر نفسه مع قصص الأنبياء والتي تبقى موضوعات من الظاهر أنه لا يمكن الانطلاق عند دراستها من الواقع الخارجي.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص33.

<sup>2</sup> زياد خليل الدغامين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص 55.

لأجل هذه الأسباب، ولأجل إدخال التفسير الموضوعي المتعلق بموضوعات السور القرآنية ذهب بعض الباحثين إلى البحث عن تعريفات اصطلاحية أخرى، فمثلا يقول أحمد رحمان عن التفسير الموضوعي: «هو منهج ينهض بتفسير الآيات المتضافرة على إبراز خصائص موضوع محدد في القرآن كله أو في سورة منه مركزا ومعبرا عن قضية محددة تتبلور عنها نظرية في قضية من قضايا الحياة أو تصور عن أمر من أمور الكون والملكوت»<sup>1</sup>، نستطيع القول أن هذا التعريف يصب في نفس اتجاه محمد باقر الصدر، لكنه يحاول أن يدخل النوع الثاني من التفسير الموضوعي، وهو التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وهذا ما أغفله باقر الصدر.

لقد اهتم مصطفى مسلم بعلم المناسبات، ونبه إلى العلاقة المتينة التي تربطه بالتفسير الموضوعي، قال: «علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي، وبخاصة التفسير الموضوعي للسورة، وذلك لأننا نلاحظ أن الآية أو مجموعة الآيات تنزل في أسباب مختلفة [...] ولكننا عندما نقرأها نجد أن وحدة الموضوع يجمعها ومرمى الهدف والغاية من سياقها جميعها شيء واحد»<sup>2</sup>.

هذه الصلة الوثيقة بين علم المناسبات والتفسير الموضوعي لم نجد لها حضورا في التعريف الاصطلاحي لهذا النوع من التفسير.

وهذه الإشكالية، تتوالى مع التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، فصالح عبد الفتاح الخالدي، ورغم اهتمامه بمسألة المصطلح القرآني، إلا أنه لم يقدم لنا تعريفا اصطلاحيا يجمع هذه المتفرقات، ويدخل هذا اللون من التفسير الموضوعي في إطاره.

هذه بعض المحاولات لتعريف التفسير الموضوعي، لها إيجابيات، ولها سلبيات ويبقى القبول والرد قائما حولها، في انتظار التوصل إلى تعريف جامع شامل، وفي هذه الأثناء يبقى العمل الذي قدمه محمد باقر الصدر هو الجهد المتصدر لمعظم الاجتهادات، لأنه حاول فك عقدة التفسير، وحل إشكالية عدم حضوره وفعاليتته، ووصل إلى وجوب الانطلاق من الواقع، والرجوع إلى النص للتوصل إلى نظرية أو تصور لعلاج الواقع، وهكذا دواليك.

### المبحث الثاني: أهمية التفسير الموضوعي

يرى عبد الستار فتح الله سعيد أن للتفسير الموضوعي أهمية عظيمة، وتبرز هذه الأهمية والضرورة في نقاط عديدة، نتفق معه في بعضها ونختلف في أخرى، وهذه النقاط هي كالتالي:

1/ إبراز إعجاز القرآن على وجه يلائم العصر، والإعجاز مرتبط باستمرار التحدي، هذا التحدي الذي يتجلى في موضوعات القرآن من طريقين، هما شمول القرآن لكل هذه للموضوعات المتعددة مع قلة حجمه، وكمال كل موضع منه على حدة، حين نجمعه مع مواضع أخرى لنؤلف منه كيانا آخر، فالقرآن نزل نجوما متفرقة، وكل نجم نجده في موقعه من السورة القرآنية منسجما متناسقا مع سابقه ولاحقه، وحين نجمع هذه النجوم لتشكيل موضوع معين نجدها على غاية التنسيق والتأليف، وهذا قمة الإعجاز<sup>3</sup>، وهذه الميزة لا جرم أنها تبين إعجاز القرآن وعظمتها.

2/ الوفاء بحاجات هذا العصر إلى الدين، ومنها حاجة البشر عامة لهذا الدين، فمعظم الناس لا دين وهم في أمس الحاجة إلى الدين الصحيح، وحاجة المسلمين خاصة، فالمسلمون مفتونون بغيرهم،

<sup>1</sup> أحمد رحمان، التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، ص 48-49.

<sup>2</sup> مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص 57.

<sup>3</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 42-40.

تركوا كتابهم وانبهروا بما عند الكفار من قوانين وأخلاق، فهم في حاجة إلى فهم القرآن وإدراك شموله لكل مناحي الحياة حتى يقبلوا عليه ويطبّقوه ويقدموه للناس عن معرفة وتجربة<sup>1</sup>.

3/تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية، وأولها علم الأصول القرآنية وهو أوسع من علم أصول الفقه والمقصود به القوانين العليا التي تضبط كل ما يتصل بالقرآن والإسلام من علوم، خاصة علم أصول الفقه وعلوم اللغة العربية، وتأصيل علم "الإعجاز التشريعي"<sup>2</sup>، وعلم "الحكمة القرآنية"، فكثير من العلوم عندما نعرض أصولها على أصول القرآن الكريم التي ثبتت بالاستقراء سنلاحظ فيها الخلل وعدم الانتظام، وهذا ينطبق على العلوم الإسلامية كأصول الفقه، وعلى علوم اللغة كالنحو والصرف وغيرها.

#### 4/تصحيح مسار الدراسات القائمة من دراسات دينية وعربية وذلك بما يلي:

أ/تصحيح طريقة النظر في القرآن الكريم<sup>3</sup> فكثير من الفرق الإسلامية لم تبحث عن أصول قرآنية للتحاكم إليها بل بحثت في القرآن عما يؤيد معتقداتها وتصوراتها، فالتفاسير العقدية والفقهية نموذج للانتصار للمذاهب العقدية والفقهية، فكل صاحب مذهب عقدي إلا ويقوم باستخدام النصوص القرآنية للتدليل على آرائه العقدية، وبالمثل فالتفاسير الفقهية تنتصر لأصول مذاهب أصحابها.

ب/إصلاح طريقة التفسير وإنضاجه<sup>4</sup> فكثير من المفسرين يستغرق في فنه الذي تخصص فيه والعلم الذي برز فيه، لهذا فالتفسير الموضوعي يساعد على التركيز على الموضوعات، فالفهم الذي يقوم على أساس التخصص في علم واحد فقط مثل الحديث أو اللغة والبلاغة أو الفقه وأصوله، كل ذلك يجعل التفسير متخصصاً تطبيقياً لقواعد تلك العلوم، فبعض العلوم طغت على التفسير كالنحو والإعراب، والجدل الكلامي، والاستطراد الفقهي، وضروب المجاز والبديع، والإسرائيليات وغيرها، وبهذا فإن التفسير الموضوعي حسب عبد الستار فتح الله سعيد يعمل على إبعاد المفسر عن الحشو والاستطراد.

وبعض العلوم تساعد فعلاً على التعمق في التفسير التحليلي للآيات، لكنها تبعد التفسير عن تقديم الفهم الكلي للنصوص القرآنية، وهذا ما نلاحظه عند غياب النظرة العامة وسيطرة التخصص على عقل المفسر، ونماذج ذلك كثيرة واضحة، مثل التفاسير الروائية والتفاسير الفقهية واللغوية البلاغية.

ج/ضبط القواعد العلمية<sup>5</sup> الخاصة بتفسير كتاب الله تعالى، فكثيرة هي القواعد التي لم تقم على استقراء كلي أو استيعاب شامل، وبضبط هذه القواعد وتصحيحها يرتفع الكثير من الخلاف.

والحقيقة التي لا يمكن بحال من الأحوال إغفالها أن إبراز إعجاز القرآن والوفاء بحاجات العصر وتأصيل الدراسات العلمية وتصحيح مسار الدراسات والعلوم القائمة، أهداف مبالغ فيها بعض الشيء، وهي ليست مهمة المفسر فقط بل هي مهمة الجميع، مع التأكيد على أن الأخذ بهذا المنهج "منهج التفسير الموضوعي" قد يسعفنا في تحقيق هذه الأهداف، وقد لا يسعفنا، لأن تعليق مثل هذه الأهداف العظيمة بهذا المنهج لوحده قد يصيبنا بالإحباط حينما نجد أن مخرجات هذا المنهج كانت دون المستوى، وهذا لا يعود للمنهج وحده بل يعود للذي يستخدم المنهج.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، 42-43.

<sup>2</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 43-51.

<sup>3</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 52.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 53.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 53-55.

فهذه الأهداف المنوطة بهذا المنهج قد تتحقق بمقدار ما يستطيع المفسر تقديمه من طروحات مقنعة ومن فهوم جديدة للنص القرآني، فالأمر يعود إلى جهود المفسرين وقدرتهم على تقديم الجديد المقنع للناس من فهم وتفسير جديد لكتاب الله تعالى. وعلى المنوال نفسه تعرض مصطفى مسلم لبيان وتوضيح أهمية التفسير الموضوعي في نقاط أساسية نعرض لها باختصار كالتالي:

1/مواجهة المشكلات المستجدة والأفكار والطروحات المتعددة في عصرنا الحاضر<sup>1</sup>، فالنصوص قليلة لكن الوقائع والمستجدات لا حصر لها، ولا يمكن حل هذه المشكلات المستجدة إلا بالتفكير والنظر في النصوص القرآنية للخروج بتصورات لمواجهة تلك المستجدات والأفكار.

2/التفسير الموضوعي يقدم أداة للتعمق والتوسع والشمولية في النظر والتحقيق<sup>2</sup> في جميع المسائل المطروحة للبحث بخلاف المناهج الأخرى مثل المنهج التحليلي أو المنهج الإجمالي أو المقارن.

3/يساعد التفسير الموضوعي على إبراز جوانب جديدة من إعجاز القرآن الكريم<sup>3</sup>.

4/تأصيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها<sup>4</sup>، فالكثير من العلوم الإسلامية تم التأصيل لها لكن تبقى بعض العلوم خاصة منها المستجدة بحاجة ماسة إلى التأصيل في ضوء النصوص القرآنية على غرار الإعجاز العلمي وعلم الاقتصاد الإسلامي وعلم الإعلام الإسلامي. كما تتمثل أهمية وفائدة التفسير الموضوعي في تصحيح مسار بعض الدراسات الإسلامية فهناك دراسات ضخمة لم تكن مناهجها وثيقة الصلة بالهدايات القرآنية، وأبرز مثال على ذلك علم التاريخ الذي اهتم بسر الأحداث لكنه أعرض عن المنهج القرآني الذي يعرض لسنن الله في المجتمعات ويبين العبر والدروس من قصص الأمم السابقة مع أنبياء الله تعالى، وقد حاول ابن خلدون تقفي هذا الطريق لكن لم يوجد بعده من يستكمل هذا الجهد.

وهكذا فمصطفى مسلم يوافق عبد الستار فتح الله سعيد في ذكر أهمية وفوائد التفسير الموضوعي، ورغم ذلك نؤكد أن المنهج أداة بيد المفسر والنتيجة والعبرة بما يصنع به المفسر عند استخدامه لهذه الأداة، هل يمكنه تقديم الجديد أم أنه لا يستطيع ذلك، وهذه الأهداف المرجوة أكبر من أن ينبري لها علم أو منهج أو علماء تخصص واحد فقط بل تحتاج إلى جهود عديدة تحت غطاء وتنسيق محكم لعلها تصل إلى مبتغاها.

<sup>1</sup> مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص30.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص31.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص31.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص32-33.